موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

محاضرات وندوات مصورة

ندوات تركيا

ندوات مصورة - تركيا - المؤتمر الثقافي الاجتماعي الرابع - جمعية الحكمة للعلم والصداقة والتعاون : تربية الأولاد في الإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-01-2000

بسم الله الرحمن الرحيم

كل إنسان على وجه الأرض جُبل على حبّ و كمال و سلامة وجوده :

أيها الأخوة الكرام ، على وجه الأرض ستة آلاف مليون ما منهم واحد ـ مسلم ، غير مسلم ، مؤمن ، كافر ، ملحد ، علماني ـ إلا وقد جبل وفطر على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، هذه في العموميات .

الإنسان أخطر آلة في الكون تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ، ولهذه الآلة صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة ، الإنسان حينما يطبق تعليمات الصانع الخبير:

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

يحقق سلامته فقط ، فالذي يطبق المنهج يحقق السلامة ، أي لو أنه اختار امرأة صالحة ، ذات خلق ، ينجو من الشقاء الزوجي ، لو أنه ربى أولاده تربية كما أمر الله ينجو من عقوق الأولاد ، لو أنه حصّن ماله بجهة مشروعة ينجو من إتلاف المال ، فأي عمل تقوم به وفق تعليمات الصانع تسلم ، وأنا أؤكد على كلمة تسلم ، تسلم شيء وتسعد شيء آخر ، بالاستقامة تسلم ، مادام الدخل حلالاً فالمال محفوظ ، ما دامت التربية صحيحة فالأولاد أبرار، ما دام اختيار الزوجة كان وفق منهج الله فالشقاء الزوجي بعيد عنه بعد الأرض عن السماء ، أنت أعقد آلة ، ولك صانع حكيم ، وهناك تعليمات التشغيل والصيانة ، لمجرد أن تطبق تعليمات الصانع انطلاقاً من حبك لذاتك ، بتعبير مألوف من أنانيتك حينما تنطلق من حبك لذاتك ، ومن أنانيتك ، ومن حرصك على سلامتك ، تطيع الله عز وجل .

العمل الصالح عطاء طابعه إيجابي والاستقامة امتناع وإحجام وطابعها سلبي :

أكثر الأخوة الدعاة تأتيهم أسئلة كثيرة جداً حول هذا الموضوع ، يقول السائل : أنا مستقيم لكن لا أشعر بسعادة ، والكلام صحيح مئة بالمئة ، الاستقامة تحقق السلامة ، أما السعادة تحتاج إلى عمل صالح ، الاستقامة منع ، امتناع ، أنا ما غششت ، ما احتلت ، ما ارتكبت حراماً ، ما آذيت إنساناً ، كل بنود

الاستقامة مسبوقة بما ، أما العمل الصالح فيه عطاء ، تعطي من مالك ، من علمك ، من جاهك ، من خبراتك ، من وقتك ، من عضلاتك ، الاستقامة امتناع ، طابعها سلبي ، أما العمل الصالح عطاء طابعه إيجابي ، إن أردت السلامة تستقيم ، إن أردت السعادة فاعمل صالحاً .

إلا أن العلماء لهم موقف ، إذا قال الله عز وجل استقيموا ، أي استقيموا واعملوا أعمالاً صالحة ، وإذا قال تعالى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا)

استقام وعمل صالحاً ، هذان الكلمتان إذا اجتمعتا تفرقتا وإن تفرقتا اجتمعتا ، الاستقامة والعمل الصالح، الاستقامة امتناع ، إحجام ، طابعها سلبي ، والعمل الصالح إيجابي ، أنت بالاستقامة تسلم .

التعامل مع الله وفق قوانين سنّها الله عز وجل :

هناك نقطة دقيقة جداً ، هذه النقطة أن خالقنا رب العالمين الذي خلقنا جعل هناك قواعد ثابتة للتعامل معه ، العام الماضي وفقني الله في قناة الرسالة أن أقدم ثلاثين حلقة برمضان تحت عنوان قوانين القرآن الكريم ، التعامل مع الله وفق قوانين ، الحياة الطيبة :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(سورة النحل الآية : 97)

قانون العزة :

(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ)

(سورة يونس الآية : 26)

العزة لها قانون ، الذلة لها قانون ، العداوة لها قانون :

(فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.)

(سورة المائدة الآية : 14)

علاقتك مع الله وفق قوانين ، وفق قواعد .

أي منصب قيادي في الكون بحاجة إلى معرفة قانون الالتفاف و الانفضاض :

الآن دققوا الأب قائد ، والأم مربية ، الأب ، والأم ، والمعلم ، والمدرسة ، والشيخ ، وأي منصب قيادي بحاجة إلى هذا القانون ، ما هذا القانون ؟ قال تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

أي أنت حينما تتصل بالله أيها الأب اتصالاً حقيقياً ، حينما تستقيم على أمره ، وتتقرب إليه ، وتتصل به، يمتلئ قلبك رحمة ، فإذا امتلأ القلب رحمة ، انعكست الرحمة ليناً، فإذا ظهر اللين منك التف الناس من حولك ، هذا القانون يحتاجه المدرس ، تحتاجه الأم ، يحتاجه المعلم ، يحتاجه الداعية ، يحتاجه مدير المؤسسة ، يحتاجه مدير الجامعة ، مدير الشركة ، أي منصب قيادي أنت حينما تتصل بالله يمتلئ قلبك رحمة ، هذه الرحمة تنعكس ليناً، هذا اللين يدعو من حولك ليلتفوا حولك ، ويحبوك ، ويتعلموا منك ، و يجهدوا في إرضائك ، نبدأ بتربية الأولاد في الإسلام من هذا القانون ، قانون الالتفاف والانفضاض ،

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

دقق :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)

لو أن الإنسان كان منقطعاً عن الله ، فأصبح قلبه قاسياً ، انعكست القسوة في القلب غلظة وفظاظة ، عندئذ ينفض الناس من حولك ، أنت أيها الأب ، أيتها الأم ، أيها المعلم ، أيها الداعية ، أنت بحاجة إلى أن يلتف من حولك حولك ، هذا القانون الأول :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

فالأب الموصول بالله أب مثالي ، الأم الموصولة بالله أم مثالية ، اتصالهما بالله جعل بقلبيهما رحمة ، هذه الرحمة انعكست ليناً ، الابن يشعر أن الأب حريص عليه .

طبعاً هناك قانون ثان :

((يا داود ذكر عبادي بإحساني ، فإن القلوب جبلت على حبِّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها))

[ورد في الأثر]

بطولة الأب لا أن يكون محترماً بين أولاده فقط بل يكون محبوباً أيضاً :

أيها الأخوة الكرام ، أيتها الأخوات الكريمات ، اسمحوا لي بهذه الكلمة ، بالثقافة الإسلامية الأب محترم والأم محترمة ، لكن بطولتك أيها الأب وبطولتك أيتها الأم لا أن تكوني محترمة من قبل أولادك ينبغي أن يحبك أولادك ، البطولة المحبة ، هكذا نشأنا ، الأب له مكانة ، الأم لها مكانة ، لكن الابن بين أن يحترم أمه وأباه إنقاذاً لسمعته عند من حوله وبين أن يمتلئ قلب الابن محبة لوالديه ، المحبة تقود إلى

الطاعة ، تقود إلى الولاء ، تقود إلى الحب ، لذلك ورد أعتقد عن ابن القيم في كتاب الفوائد : "من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ، ومن أعجب العجب أن تحبه ولا تطيعه " .
من أعجب العجب أن يكون الأب والأم موصولين بالله ، وهذه الصلة جعلت قلب الأب وقلب الأم مفعماً بالرحمة ، والرحمة أصبحت ليناً ، واللين التفاف .

علامة إيمانك أن يكون بيتك جنة :

والله أيها الأخوة الكرام ، علامة إيمانك أن يكون بيتك جنة ، لا يهم الدخل ، لا يهم نوع الطعام ، لا يهم مساحة البيت ، إن لم يكن بيتك جنة ففي الإيمان ضعف ، جنة ، أنت موصول بالله ، هذا ابنك جزء منك ، حينما يشعر الابن أن أباه يرحمه رحمة لا حدود لها حريص على سلامته ، مرة كنت في أمريكا وكان الرئيس كلينتون ، قلت لهم : لو بلغت منصباً ككلينتون ، وثروة كأوناسيس ، وعلماً كأينشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس . ارتباط الأب بالابن ارتباطاً عضوياً ، أنت تمشي في الطريق وجدت شباباً ثلاثة يدخنون ، أحدهم ابنك ، والثاني ابن أخيك ، والثالث صديقهما ، ابنك تكاد تغلي ، ارتباط الأب مع الابن ارتباطاً عضوياً ، أنا أقول مستحيل وألف ألف مستحيل أن يشقى ابنك وتسعد أنت ، قال تعالى :

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)

(سورة طه)

ولم يقل فتشقيا ، مع أن الصياغة اللغوية تقتضي أن تكون فتشقيا ، لكن العلماء قالوا : شقاء الأزواج شقاء حكمي لزوجاتهم ، القرآن الكريم بليغ في إيجاز بليغ ، ولا يخرجنكما من الجنة فتشقى أي فتشقيا ، أنا أقيس على هذه القاعدة مستحيل وألف ألف مستحيل أن يشقى الابن والأب لا يشقى ، ابنه ، والله أحياناً الأم تكاد تموت من الألم ابنها شرد عنها ، لا تعرف مع من يسهر ، لا تعرف ماذا يشاهد من أفلام ، فإذا أنبته تطاول عليها ، وقد يضربها ، الإنسان حينما يفقد ابنه ، يفقد ولاء ابنه ، يفقد انضباط ابنه ، يفقد كل شيء .

شقاء الأبناء شقاء حتمي لآبائهم :

أنا والله لا أبالغ ، والله السعادة التي تتسرب إلى قلب الأب والأم إذا رأيا ابنهما صالحاً لا توصف ، حدث عنها القرآن الكريم :

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

أن ترى ابنك صالحاً ، في بعض الأحيان الأب يستدعى إلى مركز الشرطة ليجد ابنته في دار دعارة ألقي القبض عليها ، هل هناك ألم يساوي هذا الألم ؟ يا أخوان أنت حينما تربي أولادك تطلب السلامة من الله ، أنت حينما تربي أولادك تحقق السعادة حينما ترى ابنك صالحاً ، والله جميع الجهود التي تبذل من قبل الأب والأم من أجل أن يكون ابنهما مستقيماً والله تنسى أمام قرة العين التي يتمتع بها الأب إذا رأى ولده صالحاً ، أحياناً الإنسان بدافع من حرصه على سلامته من حرصه سعادته يربي أولاده .

مسؤولية الأب و الأم مسؤولية كبيرة جداً :

هناك ملاحظة ، أيها الأخوة العلوم تتحول من علوم وصفية إلى علوم رياضية كيف ؟ طائرة قريبة من فندق في مطار نسمع ضجيجاً عالياً جداً ، صوت لا يحتمل ، كلمة لا يحتمل ، كلمة عال لها وصف ، أما الآن الضجيج يقاس بوحدات ، يقول لك : هذا الضجيج يساوي مئة وخمسة وعشرين ديسيبل ، صار الضجيج محكوماً ، أكثر العلوم تحولت من علوم وصفية إلى علوم رياضية ، أقول لكم : إذا كان من الممكن أن نعطي وحدات لتربية الآباء والأمهات ، فقبل خمسين سنة الأب والأم بحاجة إلى ألف وحدة لتربية أولادهم ، اليوم بحاجة إلى مئة مليار وحدة ، من كثرة الصوارف ، أي شيء بالطريق يصرف الابن عن رضاء الله عز وجل ، نساء كاسيات عاريات ، أفلام ، فضائيات ، انترنيت ، مجلات ، صحف ، قصص ماجنة من أصدقائه ، تكاد بحاجة قبل خمسين سنة إلى ألف وحدة تربية ، اليوم بحاجة إلى ملايين ، لأن الصوارف لا تعد ولا تحصى ، والعقبات لا تعد ولا تحصى ، عقبات أمام الأولاد وصوارف تغريهم ، الأب الآن له مسؤولية كبيرة جداً .

مرة أب جاء يشكو ابنه ، ابنه من أول طلاب العلم في المسجد ومتفوق ، عنده شهادة ثانوية يتمنى عليّ أن أمنعه من حضور الدروس أثناء العام الدراسي ، قلت له : لو كشف الغطاء هذا ابنك يساوي ألف مليون دولار ، الأب مادي ، هذا ابنك الصالح المستقيم الورع يستقيم على أمر الله ، ويسعى لإرضاء الله يساوي ألف مليون دولار ثروة بيدك ، ومن كان ابنه فاسقاً ، من فقد ابنه ، من فقد صلاح ابنه ، خسر كل شيء .

فيا أيها الأخوة ، أنا أحذركم ألا تربوا أولادكم ، الذي يحصل أن الإنسان في البدايات مشغول ، من هو اليتيم ؟ ليس اليتيم من فقد أحد أبويه ، اليتيم من وجد أماً تخلت أو أباً مشغولاً ، هذا اليتيم ، الذي فقد راعية الأب والأم هذا اليتيم .

الابتعاد عن الخصومات التي تصرف الأبناء عن البيت :

فيا أيها الأخوة من أجل سلامتكم ، من أجل أن تسلموا ربوا أولادكم ، والابن إذا رأى أباً صالحاً ـ أي مخلصاً ـ إذا رأى أباً محباً ، إذا وجد في البيت خصومات الابن ينفر من البيت ، ويميل إلى أصدقائه ، الطفل إنسان يبحث عن الحب ، فإن وجد في البيت نكداً ، أو خصومات ، أو صياح ، أو خبط أبواب ، أو سباب ، هذا الجو لا يريح ، فأي بيت ممتلئ بالخصومات والسيئات يجعل الابن ينصرف إلى رفاق السوء ، علمونا بالجامعة يا أخوان أن الأب ، والأم ، والأخت الكبيرة ، وخطيب المسجد ، والمعلم ، كلهم تأثيرهم بابنك أربعون بالمئة ، ورفيق السوء وحده ستون بالمئة ، دققوا هذه حقائق مسلم بها في علم التربية ، الأب ، والأم ، والأخوات الكبيرات ، والأخوة الكبار ، والمعلم ، والخطيب ، وكل جهة تتولى التوجيه والقيادة تأثير هؤلاء جميعاً أربعون بالمئة ، وتأثير رفيق السوء ستون في المئة .

تربية الأولاد في الإسلام بحاجة إلى :

1 ـ الصلة بالله ليكون القلب رحيماً :

أول حقيقة في الموضوع أنت تحتاج إلى صلة بالله حتى يكون القلب رحيماً ، لا يوجد قسوة ، أنا لا أتكلم من فراغ ، أنا أسمع شكاوى الصغار ، شكاوى الشباب ، يقول لي: البيت جحيم ، قطعة من النار ، سباب ، وشتائم ، وضرب ، الابن يبحث عن الحب قد يجده مع رفيق سوء والده غني يغدق عليه ، يتولى أمره ، إذا كنت تستطيع أن تجعل بيتك لأولادك، يدخل إلى البيت أهلاً وسهلاً يا بني ، هل أنت جائع ؟ دخل إلى البيت وجد فيه حباً ، وجد الأم تحن عليه ، وجد أباً يرعاه ، أنت أول شيء تحتاج إلى صلة بالله يمتلئ قلبك رحمة ، الرحمة تنعكس ليناً ، اللين يجعل أولادك يلتفون حولك .

2 ـ الحرص على الابن و معاملته بالإحسان لينقله من مرتبة الاحترام إلى مرتبة الحب :

النقطة الثانية أنت حينما تعامل الابن بالإحسان ، أنت محترم في الثقافة الإسلامية، لا يكفي ، يجب أن تكون محبوباً ، بطولتك أن تجهد ، أن يتحدث ابنك عنك في غيبتك ، أن ينتمي إليك ، أن يعجب بك ، أنا أقول : مبادئ الصلة بالله ، الرحمة تعمل التفافاً ، وأنت حينما تكون حريصاً على هذا الابن تنقله من مرتبة الاحترام إلى مرتبة الحب .

3 ـ معرفة كل شيء عن الابن :

أيها الأخوة ، أنا أتمنى أن يعرف كل منكم من أصدقاء ابنه ، وأن تعرف كل أم من صديقات ابنتها ، هناك قصص عديدة ، مرة عرضوا مشكلة التحرش الجنسي ، أنا توقعت خمس أو ست حالات في البي بي سي طبعاً في الانترنيت كل التحرشات من الأقارب ، في وليمة بمزرعة ، أكثر الانحرافات ، امرأة أرسلت لي رسالة ثلاث سنوات ترتكب الفحشاء وهي عند أبيها محجبة وهي طالبة في الجامعة ، أين كنت ؟ عند صديقتي ، ما هذا الأب الذي ما سألها من هي صديقتك ؟ فلذلك الأبوة مسؤولية .

من اهتم بإيمانه و إيمان أولاده ارتقى عند ربه عزّ وجل :

أيها الأخوة ، التربية موضوعان ، ينبغي أن تربي أبناءك ، لأنه :

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود وأحمد عن عبد الله بن عمرو]

لا تجد في القرآن آية توصي الآباء بالأبناء ، تصور يصدر مرسوماً يلزم الناس بتناول طعام الإفطار ، مستحيل هذا حاجة أساسية مغروسة في أعماق الإنسان ، من السخافة أن تصدر قانوناً يلزم الناس بشيء فطري ، الآن اذهب إلى مستشفى أطفال ، الأم المحجبة تبكي ، والسافرة تبكي ، والمؤمنة تبكي ، وغير المؤمنة تبكي ، أي أم تبكي من أجل ابنها ، رحمة الآباء بالأبناء فطرة ، طبع ، لذلك مستحيل أن تجد آية تنصح الآباء بالهداية للأبناء إلا في آية المواريث :

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

(سورة النساء الآية : 11)

أما ولا آية توصي الآباء بالأبناء لأنه طبع ، اسمحوا لي بكلمة قد تكون قاسية كأنه ليس لك أجر إذا اهتممت بمصلحة ابنك ، أو بدراسته ، لكن أين أجرك ؟ عندما تهتم بهدايته ، بعقيدته ، بأخلاقه ، أما أي أب مسلم ، غير مسلم ، فاسق ، ملحد ، مؤمن يهتم بصحة ابنه ، يؤلمه مرضه ، أنا أريد أن يأتي الأب مساءً يسأل الأم هل صلى الأولاد العشاء؟ يقول لها هل كتبوا وظائفهم ؟ أريد أن تضيف للوظائف هل صلوا العشاء ؟ أنت حينما تهتم بدين ابنك ترقى عند الله ، لأن الطبع العناية بالصحة فقط ، أن تهتم بصحته لابأس أما متى ترتقي عند الله ؟ حينما تهتم بإيمانه ، هيأت له من يعلمه العقيدة الصحيحة ، جلست معه جلسة مطولة ، سألته عن أحواله ، عن تفكيره ، عن تصوراته ، الأبوة مسؤولية كبيرة جداً عندما ترى ابنك مستقيماً يدخل على قلبك من السعادة ما لا يوصف .

على كل أب أن يعرف صديق ابنه و يعلم عنه كل شيء :

أيها الأخوة ، النقطة الثالثة يجب أن تعلم علم اليقين من هو صديق ابنك ، ومن هي صديقة ابنتك ، أعتقد أن هناك بالانترنيت آلاف القصص ، هناك شاب أعتقد من شباب العراق ، أبوه أستاذ تربية إسلامية رباه تربية ما فيها عمق ، له صاحب دلّه على بعض الأفلام ، والأفلام دلته على المخدرات ، والمخدرات كانت نتيجة أنه ضبط يقدم معلومات للأمريكان في أفغانستان فعدم ، قصة طويلة تبدأ من صديق السوء ، صدق ولا أبالغ لا يوجد انحراف عند الشباب إلا أساسه صديق السوء ، فأنت عليك أن تعرف من هو صديق ابنك ، لأنك أنت ، وزوجتك ، وأولادك الكبار ، وبناتك الكبار ، وشيخ الجامع، وأستاذه ، يساوون أربعين بالمئة من التأثير ، وصديق السوء يساوي ستين بالمئة .

على كل إنسان أن يهتم بتربية ابنه من جميع النواحي :

أيها الأخوة الكرام ، ينبغي أن تربي ابنك تربية إيمانية ، وتربية أخلاقية ، وتربية علمية ، وتربية نفسية ، وتربية اجتماعية ، وتربية جسمية ، وتربية جنسية ، الفضل لله أنا لي مجموعة من الدروس حول تربية الأولاد في الإسلام ، عناوينها : التربية الإيمانية ، والتربية الأخلاقية ، والتربية العلمية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والتربية الرياضية ، والتربية الجنسية، كيف تربي أولادك ؟ طبعاً الدروس موجودة بالانترنيت .

بالمناسبة لا لشيء آخر والله ، موقع الانترنيت يدخله في اليوم مليون ومئة إنسان، من فضل الله عز وجل هذا الموقع كل شيء موجود فيه نص وصوت وصورة ، لكن ميزته الأولى أنه موقع نصي يحتاجه الخطباء ، لا يوجد موضوع معالج بالانترنيت إلا معه نصوص مضبوطة مخرجة ، ومعه صوت ، وبعض الأحيان صورة ، أكثر من ستين درساً في تربية الأولاد بالإسلام في الانترنيت بنداً بنداً ، التربية الإيمانية كلها بالأدلة القرآنية والنبوية ، التربية الأخلاقية ، التربية العلمية ، التربية الاجتماعية ، التربية النفسية ، التربية الجسمية ، التربية الجنسية ، طبعاً الكذب متعلق بالتربية الاجتماعية ، الخجل بالتربية النفسية ، كل بند من بنود هذه التربية فيه مشكلات كثيرة ، الكذب هذه مشكلة ، الخجل ، الخجل غير الحياء ، الخجل لا يتكلم كلمة بجلسة ما عنده جرأة إطلاقاً .

أنت ممكن أن تتصفح هذه الدروس ، فموضوع الانترنيت الآن له إيجابيات لا يعلمها إلا الله ، مرة كنت بسيدني ذهبت إلى جامعة كولومبيا بسيدني ، استقبلني أمين المكتبة استقبالاً منقطع النظير ، يتابع دروسي عن طريق بالانترنيت بآخر الدنيا ، والله ذهبت إلى كندا وجدت اهتماماً عجيباً بهذا الموقع ، العالم كله كان خمس قارات الآن صار قارة ، صار بلداً واحداً ، ثم مدينة واحدة ، ثم بيتاً واحداً ، ثم

غرفة واحدة ، الآن العالم سطح مكتب ، العالم كله الخمس قارات سطح مكتب ، أينما ذهبت ، ذهبنا إلى مدينة بجنوب استراليا أذاعت دروساً لي ، باليوم أربعة دروس ، فتاوى ، أناشيد ، ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهذا من دلائل نبوته :

((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار))

[من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعا أخرجه الحاكم وصححه ورده الذهبي]

أينما ذهبت العلم مبذول ، أي العلم مبذول لدرجة أنا لي درس في رمضان ثلاثين درساً متميزاً ، كنت في كندا وجدت كتاباً ضخماً اسمه "يا أيها الذين آمنوا " يتوزع ، أخذوا ثلاثين درساً بالانترنيت ، طبعاً أخذوا تفريغ النصوص وطبعت في كتاب ووزعت ، الآن العلم ميسور بشكل يفوق حدّ الخيال ، فلذلك الموضوع يهم كل أب ، ستون حلقة متعلقة بتربية الأولاد في الإسلام مع تفاصيل ، مع أدلة ، مع آيات، مع أدلة من الأحاديث.

القدوة قبل الدعوة من الوسائل الهامة في التربية :

أيها الأخوة ، هناك شيء آخر دقيق وهو : الآن التربية ما وسائلها ؟ والله لا أبالغ يكفي أن تكون أنت مستقيماً ، وأن تكون الأم مستقيمة ، ولم يجرب الابن على أبيه كذباً ، ولا سباباً ، ولا انحرافاً ، أكبر وسيلة لتربية الأولاد القدوة ، القدوة قبل الدعوة ، البيت يجب ألا يكون فيه كلمة بذيئة ، ولا سباب ، ولا موقف عنيف ، يجب أن يكون فيه هدوء و رحمة ، هذا البيت من دون توجيهات ، من دون إلقاء محاضرات ، الابن نشأ على حب بين الأب والأم ، هذا البيت فيه حب ليس فيه خصام ، ولا شقاق ، ولا سباب ، ولا ضرب ، ولا تكسير صحون ، بيت فيه حب .

أيها الأخوة الكرام ، عد للمليون قبل أن تفعل شيئاً في البيت لأن ابنك موجود يرى ، والله حينما تلقي على ابنك ألف محاضرة بالصدق وتكذب الأم على الأب على مرأى من الابن تنتهي المحاضرات كلها، وتحت قدمه أصبحت ، الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، رأى أمه تكذب ، قال : أين كنت ؟ قالت : كنت في البيت ، وذهبت أمام ابنها وعادت بعد قليل فلما كذبت على زوجها أمام ابنها انتهى عنده الصدق ، فأنت عندما تكون مستقيماً في البيت ببساطة ، بلا جهد ، بلا إلقاء محاضرات ، ينشأ الابن صادقاً .

أيها الأخوة ، القدوة قبل الدعوة ، سيدنا عمر إذا أرد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته وقال : إني قد أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا ، و أيم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة ، لمكانته مني ، فصارت القرابة من عمر مصيبة .

احترام الأبناء واجب على كل أب حتى يحبوه و يحترموه :

أيها الأخوة الكرام ، هناك ملاحظة بسيطة ، الابن وجد في البيت خصومات ، و شقاق ، و سباب ، و شتائم ، والأب بجهة والأم بجهة ، هذا يكره البيت ، ينصرف لشيء آخر، من يأخذه لا نعرف ، رفيق سوء لا نعرف ، لكنه خرج من البيت تعلق بجهة أخرى ، الآن الأب حينما يكتشف هذه الحقيقة يكاد يموت ، أما عندما دخل إلى البيت وجد فيه حباً ، الأم تنتظره ، الأب يسأل عن صحته ، عن دراسته ، كيف حالك يا بني ؟ اشتقنا إليك ، والله سمعت من إنسانة على الهاتف أنها ما سمعت بعشر سنوات كلمة أحبك من زوجها ، فلما سمعتها بالهاتف فتحت الباب ، انتبهوا يا أخوان الابن يحتاج إلى حب ، إذا كان هناك حب في البيت انضم للبيت ، التحق بأمه وأبيه ، التصق بهما ، وإذا لم يجد حباً سيبحث عنه عند رفاق السوء ، لا أعرف المؤمن بيته جنة ، كل شيء يحل بالحلم ، الحلم سيد الخلاق ، كاد الحليم أن يكون نبياً :

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه البيهقي عن أبي هريرة]

لا تسب ابنك ، له كرامة تسبه أمام أخوته البنات يتحطم ، تسبه أمام أصدقائه ، هذا رفيقه عامله على أنه كبير ، عندما يشعر الابن أنه محترم في بيته يحبك ، والله قال لي أخ في أمريكا أن ابنه له صديق زنجي ، جاء معه إلى البيت ، عندما دخل هو وصديقه ، فالابن قبّل يد والده ، هذا الزنجي أعجبه هذا العمل وأبوه قبله ، الأم فرحت بصديق ابنها فعملت له عشاء ، عجب من هذا البيت ، الأم عملت عشاء لصديق ابنها ، والأب رحب بابنه وبصديق ابنه ، فأنت عندما تحترم ابنك يحبك ابنك.

بربكم ، غلام صغير إلى جانب النبي عليه الصلاة والسلام ، وإلى جانبه الآخر أشياخ كبار من الصحابة ، جاءت الضيافة ، قال له : أتأذن لي يا غلام أن أعطي الأشياخ قبلك ؟ قال له : لا والله لا آذن لك ، نبي كريم سيد الأمة يستأذن طفلاً ؟ هذه التربية يشعر بمكانته في البيت ، دائماً له مكان معين ، له أكل معين ، أحياناً يغيب طعامه محفوظ في محبة، أنا بالتعليم إذا بعثت طالباً ليحضر شيئاً ، اسكت حتى يأتي ، ذهب ليأتي بحوار إلى كل الصف ، لا أتكلم بغيابه ، يشعر أنه قدم خدمة للصف محترمة .

ابنك سبب سعادتك فعليك رعايته و حبه :

يجب أن يشعر الابن أن أباه يحترمه ، و أن له مكانة عنده ، كان يمشي مع الغلامان ، وكان يسابقهم ، وكان يدعوهم لركوب الناقة ، كان على المنبر وجد سيدنا الحسين يتعثر فنزل وحمله ، مرة سجد وأطال في السجود لأن ابن ابنته ارتحله ، فقال النبي الكريم : كرهت أن أعجله، هكذا علمنا النبي صلى

الله عليه وسلم ، ابنك سبب سعادتك ، ابنك زادك إلى الجنة ، هذا ابنك خير كسبك ، خير كسب الرجل ولده ، يحتاج إلى حب ، يحتاج إلى بيت هادئ ، ليس فيه شتائم ، أكثر المسلمين والله أنا أستحي أن أقول لكم بيوتهم جحيم ، قطعة من الجحيم ، من السباب والصراخ والخصومات ، يسب زوجته والذي عرفه بزوجته ، هذا ليس بيتاً إسلامياً ، البيت الإسلامي فيه حب ، الحب يجلب ، ابنك سعادته أن يدخل إلى البيت .

عفواً أقول لك ما بطولتك ؟ في البيت يكون هناك عيد إما بدخولك أو بخروجك ، هناك عيد حتماً في بيت بخروج الأب ، يتنفسون الصعداء ، خلصنا ، وهناك بيت فيه عيد بدخول الأب ، يدخل الأب تجد الأولاد حوله يتعلقون به ، يقبلونه ، والله لا يهم الدخل ، أخشن عشاء ، أصغر بيت ، أقل أثاث ، مع الحب يغني عن كل شيء ، وهناك قصور قطعة من الجحيم ، لا يهم مساحة البيت ، نوع الطعام ، إذا في حب أي طعام مهما كان خشناً ، أي أثاث مهما كان متواضعاً ، أي بيت مهما كان صغيراً ، الحب هو الأساس .

الإحسان قبل البيان :

أيها الأخوة ، أنت أولاً يجب أن تكون قدوة ، الآن الإحسان قبل البيان ، عفواً هناك أب محسن يزوج أولاده ، أنا كنت عصامياً كونوا عصاميين ، الآن لا يوجد أحد عصامي ، وضع الحياة يستحيل أن تكون عصامياً ، فعندما يهتم الأب بتزويج ابنه ، والله عندنا آباء في الشام أبطال ، يكون ساكناً بأرقى حي بدمشق ، يبيع بيته و يسكن في الريف ليشتري خمسة بيوت لأولاده ، يسكن في بيت وأربعة بيوت لأولاده ، أنا والله أراه بطلاً ، من أجل تأمين أولاده ترك أحياء دمشق الراقية وسكن بالريف حتى يزوجهم ، أقول لكم بصراحة: أعظم عمل تزويج الأولاد ، الذي يستطيع أن يزوج أولاده ولو ضحى ، ولو هبط مستوى معيشته ، ولو سكن في مكان أقل شأناً مما كان فيه ليزوج أولاده و يحصنهم فهذا أب مثالي ، من تزوج فقد ملك نصف دينه .

أيها الأخوة ، هناك أناس كل سنة يحج يقول لك : حججت سبع وثلاثين حجة ، أولاده لم يزوجهم ، زوج أولادك ، اعمل كل خمس سنوات حجة لا يوجد مانع ، زوج أولادك، الابن عندما يرى أن أباه مهتم بزواجه ، مهتم أن يؤمن له بيتاً ، مهتم بعمله ، يصبح في التصاق مع الأب منقطع النظير .

التربية عمل و ليست توجيه أوامر أو إلقاء محاضرات :

أيها الأخوة ، التربية عمل ، التربية ليست توجيه أوامر ، التربية ليست إلقاء محاضرات ، التربية ليست ضرباً وشتماً ، هذه ليست تربية ، التربية :

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه البيهقي عن أبي هريرة]

أنت يمكن أن تكون بأقل دخل لكنك أسعد إنسان ، مرة دخلت إلى بيت في الشام ، عندنا في الشام بالجبل هناك جادات ، أفقر الناس بالجادات العليا ، البيت كان بالجادة الأولى من فوق وليس من تحت ، أي العاشرة ، الأرض ليس فيها بلاط ، أثاثه متواضع بشكل عجيب، أقسم لكم بالله شعرت أن هذا البيت قطعة من الجنة ، الابن محترم جداً ، غالٍ جداً ، لا يهم مستوى البيت ، لا يهم مستوى الأثاث ، لا يهم المساحة ، يهم العلاقات لأن الله عز وجل قال :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

أنا لي تعليق على الآية ، النبي صلى الله عليه وسلم سيد الخلق وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم ، أوتي القرآن ، أوتي الوحي ، أوتي المعجزات ، كان جميل الصورة ، كان فصيحاً ، صفات النبي نادرة وينفرد بها ، كأن الله يقول له : أنت أنت يا محمد ، أنت بالذات مع كل هذه الخصائص

(لَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

نبي ، ورسول ، وسيد ولد آدم ، و يوحى إليه ، ومعه القرآن ، ومعه المعجزات ، وفصيح ، وجميل ، قال له : أنت بالذات :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

أنت كبير ، أنت ملء سمع ابنك وبصره هل من الممكن أن تسب الدين مرة ؟ حطمت ابنك ، هل من الممكن أن تكذب على أمه أمامك وكان معك ؟ قال لك : أمي تريد هذه الحاجة ، قلت له : امشي ، تدخل إلى البيت قالت لك : أين الحاجة ؟ تقول : نسيت ، ذكرك ابنك ، أنت كذبت ، قل لها لا أملك ثمنها ، أنت عندما تكذب أمام ابنك انتهت الأسرة كلها ، فلذلك المؤمن لا يكذب ، الابن شاهد صدقاً ، شاهد وداً ، شاهد حباً ، شاهد اهتماماً ، والله يا أيها الأخوة يمكن أن تجعل بيتك جنة ، تدخل البيت تنسى كل همومك ، زوجة تنتظرك، جهدت بأن تكون أنت مرتاحاً ، والابن شاهد الأم كيف تعتني بالأب ، أما

يمشي الأب تحكي الأم على الأب ، تذمه ، أحياناً تسبه أمام أولاده ، تذهب الأم ، الله لا يردها ، سمع الابن من أبيه كلاماً قاسياً على أمه ، هذه أمه أيضاً.

سعادة الإنسان من سعادة ابنه :

يا أخوان ، لا يوجد انضباط بين المسلمين ، سامحوني اقبلوا الحقيقة المرة ، يكفينا مدح لأنفسنا ، أنا والله منذ زمن ما مدحت المسلمين ، لماذا هذا المديح ؟ لا يوجد انضباط ، البيت ليس جنة ، البيت جحيم، أنا أريد بيتاً لا يهمني الظواهر ، يمكن أن يكون الأب عنده غرفة ضيوف فخمة جداً لكن ابنه لا يملك غرفة ، ألغ غرفة الضيوف واستقبل ضيوفك في غرفة الجلوس من حين لآخر ، واعمل غرفة خاصة لابنك ، فيها كومبيوتر ، وفيها طاولة ، ينشد للبيت ، ليس له غرفة ، ينام على الديوان مع هذا وهذا ، هل هذا الكلام صحيح ؟ اعمل له غرفة خاصة يشعر بكيانه ، اهتم بابنك ، اعتقد يقيناً أن سعادتك بسببه ، إن سعد تسعد معه وإن شقي تشقى معه .

هذه بعض الخواطر والله الموضوع طويل جداً ، موضوع التربية هذا موضوع العمر ، أتمنى أن تراجعوا الموضوعات ، والله بذلت فيها جهداً كبيراً جداً ، أنا عملت مجموعتين ، أول مجموعة ألقيتها بجامع العثمان ، والمجموعة الثانية ألقيها بجامع سعد بن معاذ في المالكي ، مجموعتان متقاربتان بالعناوين فقط ، لكن هناك تطورات بموضوعات جدية ، هذه الموضوعات بالانترنيت موجودة نصاً وصوتاً ، أهم شيء النص ، كل يوم خذ موضوعاً ، أنت هكذا تربي ابنك ؟ عندما تجد الابن انضم لأبيه وأخذ موقف الطاعة والحب والولاء تنسى كل تعبك ، لعلي أطلت عليكم .

والحمد لله رب العالمين

ندوات مصورة - تركيا - المؤتمر الثقافي الاجتماعي الرابع - جمعية الحكمة للعلم والصداقة والتعاون : الإعجاز العلمي في القرآن
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-01-02

بسم الله الرحمن الرحيم

القواسم المشتركة بين مسلمي الأرض هي المحبة والمودة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .
وأنا مرة ثانية أشكر هذه الدعوة الكريمة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي ، وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم ، لكن في بعض الأحاديث : " المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون و لو ابتعدت منازلهم ، والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو اقتربت منازلهم ".
صدقوا أيها الأخوة ، سافرت إلى معظم بلاد العالم حينما ألتقي بالجالية الإسلامية كأنني أعرفهم من خمسين عاماً ، السبب هناك سبب علمي ، كل أخ كريم لو حللنا شخصيته إلى ألف صفة ، وسجلناها ، والتقينا مع أخ مؤمن آخر ، وحللنا هذه الشخصية ، الشيء الذي يلفت النظر أن القواسم والتقاطعات بين الشخصيتين كبيرة جداً ، وهذه القواسم بين الشخصيتين هي سبب المحبة والمودة ، حتى إن هناك برنامج كومبيوتر في أمريكا للزواج ، يأتي طالب الزواج يسأل ألف سؤال ، كل تفاصيل حياته ، كل رغباته ، كل نزعاته ، كل ميوله ، ويأتي بعد شهر يسأل هذه الكومبيوتر برقم سري أعطني أقرب فتاة إلي من حيث التقاطعات ، فهذا البرنامج على مبدأ علمي أي مودة بين المؤمنين هذا سببها ، التقاطعات كثيرة جداً ، أنت مؤمن متواضع ، تحب الخير ، صادق ، أمين ، وأخوك كذلك ، فسبب المودة بين المؤمنين هذه التقاطعات التي لا حدود لها .
أيها الأخوة الكرام ، هناك شيء آخر القلب يخشع له قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)

(سورة مريم)

قال علماء التفسير :

(وُدّاً)

بينهم وبين الله ، وهناك معنى آخر لا يقل عن الآخر

(وُدّاً)

فيما بينهم :

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)

(سورة مريم)

فهذا الود بين الأخوة المؤمنين في شتى أقطار المسلمين هذا تفسيره .

ما لم نستقم على أمر الله لن نقطف من ثمار الدين شيئاً :

نعود إلى موضوع الإعجاز العلمي ، أيها الأخوة ، لا بدّ من مقدمة مهمة جداً أنا أتصور أن الإسلام منهج يطبق أو ثقافة عامة ، الآن المسلمون مليار وخمسمئة مليون والحقيقة المرة هي عندي أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، المليار وخمسمئة مليون ليست كلمتهم هي العليا ، ليس أمرهم بيدهم ، و للطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل ، أنهم يتمتعون بثقافة إسلامية ، وأرضية إسلامية ، وخلفية إسلامية ، واهتمامات إسلامية ، ومشاعر إسلامية ، وزخرفة إسلامية ، وأقواس إسلامية ، وإسلامية حدثنا عنها إلى ما شاء الله ، لا يمكن أن تغير واقعنا ما لم نعتمد الاستقامة .

أنا لي في الشام خطب قد تصل إلى عشرين خطبة عن الاستقامة ، ما لم نستقم على أمر الله ـ لن لتأبيد النفي ـ لن نقطف من ثمار الدين شيئاً ، مليار وخمسمئة مليون ليست كلمتهم هي العليا ، وعشرة آلاف مقاتل وقفوا أمام أكبر جيش في المنطقة ، أنت حينما تؤمن تتبدل موازين القوى في الأرض ، وهذا الذي أربك الغرب وقلب موازينه ، ليس من المعقول أن فئة قليلة ، ضعيفة ، سلاحها بدائي ، تقف أمام أكبر جيش .

فلذلك إله الصحابة إلهنا ، الإله الذي نصر أصحاب رسول الله هو إلهنا ، القوانين هي هي لا تتبدل ولا تتغير ، ولكن أنت حينما تعرف الله ، الآن حينما تعرف الله تعرف ماذا ينتظر الطائع إذا أطاعه ، وماذا ينتظر العاصي إذا عصاه ، أما أنا أقول لكم : مليار وخمسمئة مليون يتمتعون بمشاعر إسلامية ، وثقافة إسلامية ، واهتمامات إسلامية ، وخلفية إسلامية ، وأرضية إسلامية ، وطاقات إسلامية ، أما ما لم يلتزموا لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث والله أحجمت عن روايته عشر سنوات خوف ألا يصدق :

((لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة))

[أحمد عن ابن عباس]

فإذا كان العدد مليار وخمسمئة مليون ، وليست كلمتهم هي العليا ، المشكلة كبيرة ، أنا أتصور وهذا اجتهاد مني أنهم عرفوا الأمر ولم يعرفوا الآمر ، لو أن الإنسان عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر ، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر .

الإيمان الذي لا يترجم إلى التزام و سلوك ووقوف عند الحلال والحرام إيمان إبليسي :

كلمة الله لو أردت أن تتحدث عنها ماذا تقول ؟ تقول : خالق السماوات والأرض ، هل تصدقون أن إبليس مؤمن والدليل :

(قالَ فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص الآية : 82)

آمن به عزيزاً :

(قالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

(سورة الأعراف)

آمن بيوم القيامة :

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

(سورة الأعراف)

آمن به خالقاً ، ومع ذلك هو إبليس ، فأخواننا الكرام ، أنا أقول دائماً الإيمان الذي لا يترجم إلى التزام ، إلى سلوك ، إلى أن تقف عند الحلال والحرام ، هذا إيمان إبليسي ، والذي يؤمن بالله كما يدعي ، وبيته غير إسلامي ، وتجارته غير إسلامية ، وعلاقاته غير إسلامية ، ومنهجه غير إسلامي ، أي في شكله إسلامي و في حقيقته علماني ، هذا الإنسان لن ترجو منه صلاحاً .

الإعجاز العلمي ينطلق من معرفة الله لأنه من عرف الله تفانى في طاعته :

لذلك الإعجاز العلمي ينطلق من معرفة الله ، إنك إن عرفته تفانيت في طاعته ، للإمام علي رضي الله عنه كلمة رائعة قال : " إن أصل الدين معرفة الله ".

الصحابة الكرام عرفوا الله فبذلوا الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، وكانوا في سعادة لا توصف ، وصلت جيوشهم إلى أطراف الأرض ، والذين يعيشون وهمهم غير رفعة هذا الدين :

((من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ، و لم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له))

[الترمذي عن أنس]

عندما امتحن الله عز وجل قوم بماء :

(إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)

(سورة البقرة الآية : 249)

فشربوا منه بعدئذ قالوا :

(قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ (249))

(سورة البقرة الآية : 249)

انظر الربط عندما عصوا فعلاً لا طاقة لنا بجالوت وجنوده ، ونحن حينما نقصر نقول : لا طاقة لنا بالغرب ، أما حينما نلتزم نحس أن الله معنا ، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟

الله عز وجل نعرفه من آيات ثلاث ؛ كونية قرآنية و تكوينية :

أيها الأخوة الكرام ، المنطلق من هذه المحاضرة إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر ، الله عز وجل نعرفه من آيات ثلاث ، من آياته الكونية خلقه ، من آياته التكوينية أفعاله ، من آياته القرآنية كلامه ، أنت أمام آيات كونية ، آيات تكوينية ، آيات قرآنية ، الآيات التكوينية موقفك منها التفكر ، الدليل :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

(وَيَتَفَكَّرُونَ)

بصيغة المضارع تدل على الاستمرار ، والآيات التكوينية :

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36))

(سورة النحل)

فانظروا بالفاء ، والآية الثانية :

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

(سورة الأنعام)

توضيح الآيات التكوينية :

كتوضيح للآيات التكوينية هناك شاب محامي ، له برنامج ذاع صيته في الإذاعة عن القضاء ، فهذا البرنامج لاقى قبولاً واسعاً ، أنا سمعت منه حلقتين ، الحلقة الأولى كان هو محامياً عن قاتل ، أصدر القاضي حكماً بالإعدام على هذا القاتل ، وعندما بلغ المحامي الحكم لهذا القاتل قال هذا المجرم : أنا ما

قتلت هذا ، تلقى الحكم بأعصاب باردة ، فقال المحامي : عجبت لهذا التماسك في شخصيته ، العادة يبكي ، يضرب نفسه ، قال لي : قررت أن أحضر الإعدام ، أعدم في القلعة ، بعد أن وضعت الحبلة في رقبته قال : أنا لم أقتل هذا الذي اتهمت به ، لكنني قتلت إنساناً قبل ثلاثين عاماً ، وذكر القصة ونجا وقتها :

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

(سورة الأنعام)

هذه أفعاله ، القصة الثانية عن فيلا غالية جداً بمئات الملايين ، مات صاحبها ، وهناك ورقة من أوراقه تحتاج إلى شاهد على أنه باعها ، جاؤوا بشاهد أخذ ملايين على شهادة كاذبة ، وضع يده على المصحف وأقسم بالله أن فلاناً اشترى هذه الفيلا ، ورفع يده وبقيت مرفوعة ، فانزعج القاضي منه قال له : أنزل يدك ، وهو يمسك الطاولة ، عندما ضعفت يده وقع ، قال : والله رأيت هاتين الحادثتين أمامي.

آيات الكون نتفكر بها وآيات التكوين ننظر إليها وآيات القرآن نتدبرها :

الله نعرفه من آياته الكونية ؛ من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والمجرات ، والطعام ، والشراب ، والأسماك ، والأطيار ، ونعرفه من آياته التكوينية :

(قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

(سورة الأنعام)

وفي آية :

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36))

(سورة النحل)

إما أن يأتي العقاب مباشرة عن طريق الفاء تعني التتابع ، أو عن طريق ثم تعني التراخي ، وآياته القرآنية :

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24))

(سورة محمد)

آيات الكون نتفكر بها ، وآيات التكوين ننظر إليها ، وآيات القرآن نتدبرها ، والتدبر له معنى دقيق ، أنت مع القرآن تقرأه ، وينبغي أن تقرأه قراءة صحيحة وفق قواعد اللغة ، وينبغي أن تقرأ إن أمكن وفق قواعد التجويد ، وينبغي أن تفهمه ، وينبغي أن تطبقه ، أما التدبر أن تقف عند كل آية فتعرضها على نفسك أين أنا منها ؟ التدبر أن أحاسب نفسي عن مدى تطبيق هذه الآية ، إذاً مع الآيات الكونية التفكر ، مع الآيات التكوينية النظر ، مع الآيات القرآنية التدبر .

بقاء الأرض على مسارها من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام ، لا يغيب عنكم جميعاً أن الأرض تدور حول الشمس ، شيء بديهي ، لها اثنتا عشرة دورة هذه لا يعلمها معظم الناس ، لكن الدورتان المشهورتان دورتها حول نفسها ، ودورتها حول الشمس ، الدورات الأخرى بحث رائع جداً ، أحياناً تجد منطقة مثل تدمر في سوريا كانت بساتين الآن صحراء ، الربع الخالي كان بساتين الآن صحراء ، تبدل خطوط المطر تزيد عن ألفي عام تقريباً ، الدورة الشهيرة دورتها حول الشمس ، الآن المسار إهليلجي أي بيضوي ، والمسار الإهليلجي له قطر أصغر وقطر أطول ، الأرض هنا ، الآن تنتقل من القطر الأطول إلى القطر الأصغر ، ما الذي سيحدث هنا ؟ المسافة بين الأرض وبين الشمس تقل ، فإذا قلّت المسافة بحسب قانون الجاذبية تزداد الجاذبية ، فإن زادت فهناك احتمال أن تنجذب الأرض إلى الشمس ، وإذا انجذبت إليها ، الحرارة بالمركز عشرون مليون درجة ، تبخرت في ثانية واحدة ، ما الذي يحدث هنا ؟ قال العلماء : ترفع الأرض سرعتها فإذا رفعت سرعتها نشأ من هذه السرعة الزائدة قوة نابذة جديدة تكافئ القوة الجاذبة الجديدة فتبقى في مسارها ، دققوا قال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر الآية : 41)

أن تبقى على مسارها من آيات الله الدالة على عظمته ، الآن هي هنا وسوف تنتقل إلى هنا ، القطر أطول فإذا زادت المسافة ضعفت الجاذبية ، واحتمال أن تفلت الأرض من الجاذبية كبير جداً ما الذي يحصل ؟ هنا تخفض الأرض سرعتها لينشأ من خفض السرعة قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل فتبقى على مسارها :

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر الآية : 41)

قدرة الله عز وجل الذي رفع السماء بغير عمد نراها :

هناك عالم أظنه ملحداً قال : لو أن الأرض لم تخفض سرعتها لتفلتت من جاذبية الشمس ، وانتقلت إلى الفضاء الخارجي ، طبعاً تصبح الحرارة مئتين وسبعين تحت الصفر ، صفر مطلق يموت كل حي ، قال : هنا نحتاج إلى مليون مليون حبل فولاذي ، قطر الحبل خمسة أمتار ، والحبل الفولاذي الذي قطره خمسة أمتار يحتمل قوى شد تقدر بمليوني طن ، أي الأرض مرتبطة بالشمس بقوة جاذبية تساوي مليون مليون ضرب مليوني طن ، كل هذه القدرة من أجل أن تحرف المسار ثلاثة مليمتر كل ثانية ،

من أجل مسار مغلق حول الشمس ، لو لم يكن هناك انحراف فالمسار مستقيم ، المسار بيضوي مغلق ، ما السبب ؟ هذه الجاذبية الكبيرة مليون مليون ضرب مليوني طن ، من أجل أن تحرف المسار ثلاثة مليمتر كل ثانية ، لذلك هذه الحبال لو زرعت المفاجأة الكبرى بين كل حبلين مسافة حبل واحد نحن أمام غابة من الحبال ، تمنع أشعة الشمس ، تمنع الطيران ، تمنع الإبحار ، تمنع المواصلات ، تمنع الزراعة، تنتهي الحياة ، الآية الكريمة :

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

(سورة الرعد الآية : 2)

بعمد لا ترونها ، هي قوى التجاذب .

كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك :

أيها الأخوة الكرام ، الله عز وجل يقول :

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24))

(سورة عبس)

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ)

(سورة الأعلى)

أوامر إلهية ، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، أي نحن نتوهم أن الإسلام خمس عبادات ؛ صلاة ، صوم ، حج ، زكاة ، هذا خطأ كبير ، الإسلام فيه بنود تقترب من خمسمئة ألف بند ، الإسلام منهج كامل يبدأ هذا المنهج من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ، من أشد العلاقات خصوصية إلى أكبر العلاقات عمومية .

أيها الأخوة ، أكبر خطأ إذا توهمنا أن الإسلام خمس عبادات ، فإذا أديت انتهت ، لا لم تنتهِ ، هناك كيف تأكل ؟ كيف تشرب ؟ كيف تكسب مالك ؟ كيف تنفقه ؟ كيف تفرح ؟ كيف تحزن ؟ كيف تدير بيتك ؟ كيف ترتدي الزوجة ثيابها ؟ الإسلام بنود لا تنتهي ، منهج كامل ، فلذلك الذي أتمناه أن نعد أن الإسلام منهج تفصيلي ، وما لم نطبق هذا المنهج لن نقطف من ثماره شيئاً .

لقطة من لقطات الفلك :

أيها الأخوة ، هذه لقطة من لقطات الفلك ، لقطة ثانية ، أينشتاين نظريته العملاقة شغل العالم الشاغل ، قلب مفاهيم الفيزياء من خلال هذه النظرية التي سموها النسبية ، هذه النظرية اكتشفت أن السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء ، فأي جسم سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً وتوقف الزمن ، أي جسم تحرك بسرعة الضوء أصبح ضوءاً وتوقف الزمن ، هذه المحاضرة يخرج منها أمواجاً ضوئية نحو الفضاء الخارجي ، لو أتيح لواحد أن يمشي مع هذه الأمواج لرأى هذه المحاضرة إلى أبد الآبدين ، فإذا سرت مع الضوء توقف الزمن ، فإذا سبقت الضوء تراجع الزمن ، لو أتيح لنا أن نخترع مركبات تزيد سرعتها عن سرعة الضوء لرأينا بأم أعيننا موقعة بدر ، وأحد ، والخندق ، فإذا سبقنا الضوء تراجع الزمن، فإذا قصرنا عن الضوء تراخى الزمن ، توفيق الحكيم له مسرحية عن عالم الغد أسماها " رحلة نحو الفضاء الخارجي "، ساعات في الفضاء تساوي سنوات في الأرض هذا الموضوع .

هذا الموضوع متعلق بنظرية أينشتاين ، أما هذه النظرية العملاقة نراها في آية قرآنية .

عقد مؤتمر للإعجاز العلمي الخامس في موسكو ، أن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

(سورة الحج)

طبعاً الأرض تدور حول الشمس لكن القمر يدور حول الأرض دورة كل شهر ، أخواننا أكثركم معه شهادات عليا ، أي إذا وصلنا خطاً بين مركز الأرض ومركز القمر ، هذا الخط هو نصف الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ، نصف قطر الأرض مع نصف قطر القمر مع المسافة بين الأرض والقمر هذا نصف القطر ، ضرب اثنين نحصل على القطر ، لو ضربنا بالبي 3.14 ، لكان المحيط .

إذاً بدقائق يحسب ابنك كم يقطع القمر من الكيلو مترات في رحلته حول الأرض، لو ضربناه باثني عشر لكان في العام ، لو ضربناه بألف عام ، لو قسمنا هذه المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض على ثواني اليوم ، اليوم كم ثانية ، ستين ، بستين ، بأربعة وعشرين ، النتيجة سرعة الضوء الدقيقة "299792.5 كم / ثانية" ، هذه سرعة الضوء أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام ، يقطعه الضوء في يوم واحد ، لو قسمنا على ثواني اليوم لكانت السرعة بالثانية ، ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد ، لو قسمنا هذا الزمن على الثواني لكانت سرعة الضوء الدقيقة المودعة في أكاديمية العلوم في باريس .

طبعاً البحث طويل يزيد عن مئة صفحة هذا ملخصه ،

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

والعرب تعد السنة القمرية ، والقمرية أساسها دورة القمر حول الأرض ، ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد .

آيات الكون لا تعد ولا تحصى :

أيها الأخوة ، قد يقول قائل هناك آية :

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)

(سورة الحج)

سرعة الملائكة .

(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)

(سورة الحج)

ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد.

أيها الأخوة ، الأبحاث الكونية لا تنتهي ، طبعاً والله لا سنوات ولا عشرات السنوات تكفي لاستعراض ما في هذا الكون من معجز ، هاتان لقطتان من الفلك .

آيات الله عز وجل في الإنسان عديدة منها :

1 ـ الغشاء العاقل عند الجنين :

لو انتقلنا إلى الأرض الله عز وجل قال :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت الآية : 53)

المرأة الحامل عقب الولادة ينزل مع الجنين قرصاً لحمياً ، اسمه المشيمة ، نحن عندنا في الشام اسمها الخلاص ، هذه المشيمة فيها شيء لا يصدق ، يجتمع في المشيمة دم الأم مع دم الجنين ولا يختلطان ، لو أعطينا إنساناً دماً من غير زمرته يموت فوراً ، كيف لا يختلطان ؟ قال : بينهما غشاء ، هذا الغشاء سماه العلماء الغشاء العاقل ، يقوم بأعمال يعجز عنها أطباء الأرض مجتمعين ، ماذا يفعل ؟ يأخذ من دم الأم الأوكسجين يضعه في دم الجنين، يأخذ من دم الأم السكر يضعه في دم الجنين ، يأخذ من دم الأم الأنسولين يضعه في دم الجنين، ، صار في دم الجنين أوكسجين وسكر وأنسولين ، تحترق من احتراق السكر بالأوكسجين ، بواسطة الأنسولين تنشأ حرارة ، فالجنين حرارته سبعة وثلاثون ، من أين جاءت

هذه الحرارة ؟ من السكر المحترق ، الذي كون طاقة ، من أين جاء السكر لدم الجنين؟ من الغشاء العاقل ، هذا الغشاء قام مقام جهاز الهضم ، وجهاز التنفس ، والبنكرياس .

الآن الغشاء العاقل يأخذ عوامل المناعة من الأم يضعها في دم الجنين ، فجميع الأمراض التي أصيبت بها الأم الجنين محصن أن يصاب بها ، هذه مهمة ثانية ، المهمة الثالثة الغشاء العاقل يأخذ المواد الغذائية وهذا فوق طاقة البشر كم يحتاج الجنين من الدسم ، من الشحوم ، من البروتين ، من الفيتامينات، أكثر من عشرة آلاف بند يأخذها من دم الأم يضعها في دم الجنين ، وهذه النسب تتبدل كل ساعة ، فوق طاقة أطباء البشر ، الغشاء العاقل ينقل الغذاء ، الآن نحتاج إلى غذاء يشكل النسج ، هناك غذاء يعطي طاقة كالسكر ، و غذاء يعطي نسجاً جديدة كالبروتينات ، فالآن الغشاء العاقل يأخذ ما يحتاجه الجنين للنمو أيضاً عن طريق الغشاء العاقل .

الآن الغشاء العاقل يأخذ نواتج احتراق السكر ثاني أكسيد الكربون ، يأخذه الغشاء العاقل من دم الجنين ويطرحه في دم الأم ، فجزء من نفس الأم هو نفس جنينها ، والغشاء العاقل يأخذ حمض البول من دم الجنين يعيده إلى دم الأم ، هذه فضلات بناء النسج حمض البول ، لكن الشيء الغريب أن هذا الطفل في بطن أمه يحتاج إلى بوتاسيوم ، ما الطريق إلى إعلامها ؟ معقول يطرق عليها الباب نريد بوتاسيوم ، تشتهي أكلة فيها بوتاسيوم ، فشهوة الأم في أثناء الحمل حاجة الجنين ، أي مادة تنقص الجنين يترجم إلى طعام تشتهيه الأم أثناء الحمل:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

(سورة لقمان الآية : 11)

هذا الغشاء العاقل نطرحه في المهملات بعد الولادة ، يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء قال تعالى :

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21))

(سورة الذاريات)

2 ـ ثقب بوتال :

أيها الأخوة الكرام ، الجنين وهو في بطن أمه ليس هناك تنفس ، ولا هواء ، هناك رئتان مهيأتان لما بعد الولادة ، هناك دورة للدم نعرفها جميعاً دورة صغرى للرئتين ، ودورة كبرى للجسم ، ماذا يكون من شأن الدورة الصغرى ؟ الله عز وجل بيده الحكيمة يفتح ثقباً بين الأذينين في أثناء الحمل فقط ، فالدم بدل أن ينتقل من القلب إلى الرئتين ويعود إلى البطين ينتقل من أذين إلى أذين ، الآن عند الولادة ـ هكذا قال طبيب في الجامعة ـ تأتي جلطة فتغلق هذا الثقب . يد من ؟ وهذا الثقب إذا لم يغلق يصاب الطفل بمرض اسمه الزرق يموت بعد سنوات ، لأن الدم أثناء الضخ يستقرب عوض أن يذهب إلى الرئتين

ينتقل عبر ثقب للأذين الثاني فالدم لا يجدد فيموت الإنسان ، كل حياتنا مبنية على إغلاق هذا الثقب ، هذا الثقب اكتشفه عالم فرنسي اسمه بوتال ، سموه ثقب بوتال ، يد الله الحكيمة في الوقت المناسب تغلق هذا الثقب ، وحتى الله يعلمنا يترك كل خمسمئة ألف حالة ولادة حالة واحدة الثقب لايزال مفتوحاً لنعلم خطورة هذا الثقب .

3 ـ منعكس المص :

الطفل الآن يولد ، في أثناء تغسيله بعد الولادة مباشرة وصلت إصبع الممرضة إلى شفتيه فمصها ، علمونا في الجامعة أن منعكس المص أعقد منعكس ، لكنه جاهز مع الولادة ، هل هناك قوة في الأرض يمكن أن تعلمه ؟ يا بني من أجل أن تعيش ، الله يرضى عليك ، يجب أن يضع شفتيه حول حلمة ثدي أمه ، وأن يحكم الإغلاق ، وأن يسحب الهواء ، هذه الآلية المعقدة من خلق الله ، مع الولادة ينشأ مع الجنين هذا المنعكس ، لا يحتاج إلى إرادة.

هذا الأنبوب ـ أنبوب الهضم ـ لئلا ينمو ملتصقاً يصبح شريطاً معبأ بمادة شحمية سوداء ، كل الطريق أول يومين أو ثلاثة ثدي الأم يفرز مادة ليست حليباً ، ولكن هذه المادة لإذابة الشحم ، لذلك خروج الجنين الذي ولد حديثاً في الأيام الأولى أسود اللون ، هو الشحم المذاب ، هناك حالة لأحد أقربائي كان الشحم قليلاً فصارت الأمعاء شريطاً ، فمات الطفل ، فمن جعل الأنبوب مفتوحاً ؟ عن طريق الشحم ، وكيف الشحم زال ؟ عن طريق المادة المذيبة للشحم ، يد من ؟ قدرة من ؟ علم من ؟ حكمة من ؟

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

4 ـ اللعاب :

أيها الأخوة ، وأنت نائم ، وأنت غارق في النوم يتجمع اللعاب في فمك ، تذهب إشارة إلى الدماغ ، لقد زاد اللعاب في الفم ، والدماغ يعطي أمراً وأنت نائم إلى لسان المزمار ، فيغلق فتحة الهواء ، ويفتح فتحة المريء ، أما عند طبيب الأسنان يضع لك شراقة، أما أنت نائم هناك شراقة إلهية ، يأتي أمر من الدماغ لسان المزمار يغلق القصبة الهوائية ويفتح المري فتبلع ريقك .

5 ـ الرحم و انتقال البويضة خلاله :

أيها الأخوة الكرام ، البويضة عندما خرجت من المبيض وهي في طريقها إلى الرحم كيف تتحرك ؟ قد يسأل سائل هل لها أرجل وهي كرة والأنبوب ضيق ؟ أيها الأخوة هناك أشعار بأرض قناة فالوب تدفعها نحو الرحم ، لولا هذه الأشعار لما كانت هذه المحاضرة، ولا تركيا ، ولا سوريا ، ولا العالم ، هذه الأشعار تنقل البويضة من المبيض إلى الرحم ، كيف الأشعار تتحرك ؟ هناك دقة بالخلق مذهلة :

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)

(سورة الطور)

6 ـ جهاز الإحساس بالضغط والأمر الدماغي والإنسان نائم :

أيها الأخوة ، وأنت نائم وغارق في النوم هيكلك العظمي فوقه عضلات ، وتحته عضلات ، وزن الهيكل العظمي مع العضلات التي فوقه تضغط على ما تحته ، فإذا ضغطت الأوعية الدموية تضيق لمعتها ، والتروية تضعف ، والجسم ينمل ، التنميل هو ضعف التروية، الله وضع بالجسم مراكز إحساس بالضغط ، هذه المراكز حينما يضغط الجسم ترسل للدماغ رسالة ، فالدماغ يعطي أمراً و أنت نائم تقلب قلبة ، القلبة الثانية بعكسها يمين يسار ، من ثمان وثلاثين إلى اثنين وأربعين قلبة في الليلة ، الله عز وجل قال :

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

(سورة الكهف الآية : 18)

لو كان ذات اليمين وذات اليمين تجد نفسك على الأرض ، وكل واحد منا يقلب في الليلة من ثمان وثلاثين إلى اثنين وأربعين قلبة ، صوروا إنساناً نائماً كلما أخذ جانباً ينضغط ، هذه من آيات الله الدالة على عظمته ، جهاز الإحساس بالضغط والأمر الدماغي وأنت نائم .

7 ـ العين :

أيها الأخوة ، الآن الإنسان بعينه يوجد ماء لو سافر إلى فنلندا ، الحرارة سبعة وستون تحت الصفر ، أنت تلامس هواء حرارته تقدر بسبعة وستين تحت الصفر ، الشيء الطبيعي أن يتجمد ماء العين ، وإذا تجمد ماء العين فقد البصر ، ما الذي يحدث ؟ قال : الله عز وجل أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد ، الإنسان يتلافى البرد بقبعة ، بمعطف ، بقميص صوفي ، بقفازات ، بجوارب صوف ، لكن

كيف يتلافى برد العين إن وضع عليها لصاقات ، لا يرى طريقه فالعين مستثناة من ذلك ، الله عز وجل أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد .

هذا التفكر في خلق السماوات والأرض ، يد الله تعمل في الخفاء .

البعوضة من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة ، شيء آخر لو انتقلنا فجأة إلى مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ؛ إلى البعوضة ، البعوضة مئة عين برأسها ، وزنها واحد على ألف غرام ، ثمانية و أربعون سناً بفمها ، ثلاثة قلوب بصدرها ، قلب مركزي وقلب لكل جناح ، بكل قلب أذينان ، وبطينان، ودسامان ، البعوضة الذي وزنها واحد على ألف غرام ، مئة عين برأسها ، عرضت الصور في الفضائية السورية ، ثمانية و أربعون سناً بفمها ، ثلاثة قلوب بصدرها ، قلب مركزي وقلب لكل جناح ، الآن تملك جهاز استقبال حراري (رادار)لا تملكه الطائرات ، البعوضة ترى الأشياء لا بألوانها ، ولا بحجمها ، ولا بشكلها ، إنها ترى الأشياء بحرارتها ، طفل نائم حرارته سبعة وثلاثون ، والغرفة حرارتها خمس درجات ، لا ترى إلا الطفل ، تأتي إليه ، البعوضة معها جهاز تحليل ما كل دم يناسبها ، تحلل ثم تمتص ، ينام أخوان على سرير واحد الأول يستيقظ وقد ملئ بلسع البعوض ، ويستيقظ الثاني سليماً معافى ، دم الثاني ما أعجبها، تحلل ثم تمتص الدم ، وجهاز تمييع للدم ، دم الإنسان سمج لا يسري ، لزج تميعه أولاً ، ومع البعوضة جهاز تخدير ، تخدر وتمتص ، عندما تنتهي وتطير إلى سقف الغرفة ينتهي عندك مفعول التخدير ، تشعر بلسعة ، تضربها وهي فوق تضحك عليك ، معها جهاز تخدير ، وجهاز تمييع ، وجهاز تحليل ، و معها جهاز استقبال حراري ـ رادار ـ و يوجد برأسها مئة عين ، و بفمها يوجد ثمانية وأربعون سناً ، و بصدرها ثلاثة قلوب ، قلب مركزي، وقلب لكل جناح ، وزونها واحد على ألف من الغرام ، الآن اقرأ الآية :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يستحي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

(سورة البقرة الآية : 26)

لذلك آيات الإعجاز ، لأن كل نبي جاء بآيات إعجاز حسية ، لضعف إدراك البشرية سابقاً ، الآن الكون من دون خرق نواميس معجز ، بوضعه الراهن من دون أي خرق، النبي عليه الصلاة والسلام المعجزة الكبرى له آيات الإعجاز في القرآن الكريم .

الإعجاز أقوى مادة في الدعوة إلى الله :

حدثني الدكتور النجار ـ حفظه الله تعالى زارنا قبل فترة ـ عندما جاءت القوات الأمريكية إلى شرق المملكة إلى الظهران والدمام ، هو اتصل بقائد القوات وطلب منهم هل توافقون على أن ألقي محاضرات لتعرفوا ما الإسلام ؟ وافقوا فعمل محاضرات لستة أشهر ، والله من فمه إلى أذني ، حدثهم عن الإعجاز العلمي ، عدد الذين أسلموا عشرين ألفاً ، أنا أرى الآن أن أقوى مادة في الدعوة إلى الله الإعجاز ، القرآن الكريم فيه حقائق مثلاً أنت راكب طائرة "777" على ارتفاع يقدر بأربعين ألف قدم ، وأمامك كل شيء ، أنواع الطعام ، والشراب ، والقنوات كلها ، والصحف ، والمجلات ، وجو مكيف ، ونائم بسرير كامل ، تفتح القرآن الكريم :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً (8))

(سورة النحل)

أنت راكب طائرة وليس بغلاً ولا حماراً :

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8))

(سورة النحل)

لأنه كلام الله ، وكالة ناسا الفضائية عرضوا صورة لوردة جورية بأوراقها الحمراء الداكنة ، محاطة بوريقات خضراء زاهية ، فيها كأس أزرق بالوسط ، مكتوب تحتها صورة انفجار نجم اسمه عين القط ، يبعد عن الأرض ثلاثة آلاف سنة ضوئية ، تقرأ الآية :

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38))

(سورة الرحمن)

الحقائق التي كشفت الآن القرآن الكريم أشار إليها قبل ألف عام :

فاروق الباز عالم فلكي كبير من مصر ، كان في فلوريدا بوكالة ناسا الفضائية أثناء إطلاق مركبة فضائية ، رائد الفضاء بعد حين صاح بأعلى صوته لقد أصبحنا عمياناً ، لا نرى شيئاً ، كان يرى كل شيء أصبح لا يرى شيئاً ، التفسير ، عندما كان في طبقة الهواء والتي يقدر سمكها بخمسة وستين ألف كيلو متر ، عندما تجاوز الرائد طبقة الهواء لم يعد هناك انتثار للضوء ، الانتثار أن أشعة الشمس حينما تسلط على الهواء ذرات الهواء تعكس بعض الأشعة على ذرات أخرى ، فيوجد بالأرض مكان فيه ضوء ، و مكان فيه أشعة ، من أين جاء الضوء ؟ من انتثار الضوء ، فلما تجاوز الهواء لم يعد هناك انتثار فصار الجو مظلماً فقال : لقد أصبحنا عمياناً لا نرى شيئاً ، نفتح كتاب الله :

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

(سورة الحجر)

الحقائق التي كشفت الآن القرآن الكريم أشار إليها ، طبعاً الإعجاز العلمي شيء والمعجزات شيء آخر، المعجزة أساسها خرق النواميس ، أما الإعجاز مع النواميس ، لكن هذا الناموس ، هذا القانون اكتشف مؤخراً بعد ألف عام ، والإسلام أشار إليه قبل ألف عام .

توجيهات النبي الكريم ليست من اجتهاده ولا من ثقافته بل هي توجيهات إلهية :

أيها الأخوة الكرام ، هناك موضوع دقيق لن أطيل عليكم حول ما في السنة من إعجاز ، النبي عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه إذا ذبحوا دابة ألا يقطعوا رأسها لماذا ؟ لا بحياة النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا بعد مئة عام ، ولا بعد مئتي عام ، ولا بعد ألف عام ، ولا بعد ألف و أربعمئة عام ، في الأرض مركز علمي يفسر هذا التوجيه ، بالمناسبة توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام ليست من اجتهاده ، ولا من ثقافته ، ولا من بيئته ، ولا من معطيات عصره ، توجيهات إلهية :

(وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3))

(سورة النجم)

الحكمة من بقاء رأس الدابة موصولاً بجسمها عند الذبح :

هناك نهي أن نقطع رأس الدابة ، والعالم كله في كل مسالخ الأرض تعلق الدابة من أرجلها ، وتقطع رأسها قطعاً كاملاً إلا عندنا يبقى الرأس موصولاً ، أمرنا أن نقطع أوداجها فقط ، التفسير الذي كشف قبل عشرين عاماً فقط ، التفسير أن الإنسان قلبه أنبل عضو في جسمه ، فهذا القلب ينبض ، من أين يأخذ الأمر ؟ يأخذه من مركز كهربائي خاص بالقلب ليس له علاقة بالشبكة العامة ، لو كان له علاقة بالشبكة العامة وهناك انقطاع تيار فجائي يموت الإنسان ، مثل أي مستشفى تجري عمليات قلب مفتوح تحتاج إلى مولدة خاصة ، لو قطعت كهرباء المستشفى من الشبكة العامة وصار هناك عطل في الكهرباء لمات المريض ، لأن المريض قلبه موصول إلى قلب صناعي ، وقلبه جامد ، فلذلك القلب البشري عنده مركز كهربائي ذاتي يعطي أمراً بالنبض ثمانين نبضة بالدقيقة ، فإذا تعطل هناك مركز ثان احتياط ، فإذا تعطل هناك مركز ثالث ، ثلاثة مراكز في القلب ، أحياناً يضعون بطارية في الإنسان، فهذا المركز الكهربائي يعطي أمراً بالنبض ثمانين نبضة بالدقيقة .

إنسان يصعد درجاً وهو حامل أسطوانة غاز ، يلحقه عدو ، يحتاج إلى مئة وثمانين نبضة ، هذا القلب يعطي ثمانين فقط ، المئة والثمانون نبضة تأتي من أين ؟ الدماغ ملك الجهاز العصبي ، وهناك ملكة وزنها نصف غرام هي الغدة النخامية ، ملكة الغدد جميعاً، تفرز تسعة هرمونات ، لو تعطل واحد لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق ، هرمون الجنس ، هرمون توازن السوائل ، بحث طويل رائع جداً ، أحد الهرمونات هرمون الكظر ، تمشي في بستان رأيت ثعباناً ، صورة الثعبان تنطبع على شبكية العين إحساساً ، الصورة بالشبكية لا تقرأ ، هذه الصورة تنتقل إلى الدماغ ، في الدماغ ملف الثعبان ، جاء من قصص سمعها من جدته ، ومن درس العلوم ، ومن متحف ثعابين ، مجموعة المعلومات الدراسية والقصصية شكلت مفهوم الثعبان ، هذا المفهوم قرأ الصورة ، فالدماغ أدرك من خلال ملف الثعابين أن هناك خطراً .

التفكر في خلق الإنسان :

الدماغ ملك الجهاز العصبي التمس من ملكة الجهاز الهرموني الغدة النخامية أن تواجه الخطر ، تعطي أمراً إلى وزير الداخلية الخاص بها ، هذه غدة فوق الكلية اسمها الكظر، ماذا تفعل غدة الكظر ؟ تعطي خمسة أوامر ، أول أمر ترسل أمراً استثنائياً إلى القلب برفع النبض من ثمانين نبضة إلى مئة وثمانين نبضة ، فالخائف نبضه عال جداً ، الأمر الثاني إلى الرئتين يرتفع وجيبهما ، الخائف يلهث ، الأمر الثالث إلى الأوعية الدموية المحيطة بالجلد تضيق لمعتها ، فالخائف يصفر لونه ، لماذا اصفر لونه ؟ ليتوافر الدم إلى العضلات بدل الجلد، الأمر الرابع إلى الكبد يطلق كمية سكر إضافية ، فلو فحصنا دم الخائف لوجدنا عنده ثلاثمئة غرام من السكر ، في العادة مئة وخمسة وعشرون ، والأمر خامس إلى الكبد ليفرز هرمون التجلط ، حتى لا يموت من ضربة سكين ، صار عندنا خمسة أوامر ؛ للقلب ، للرئتين، للأوعية ، للكبد من أجل السكر ، للكبد من أجل هرمون التجلط .

الآن الخائف جاءته خمسة أوامر من أجل أن تساعده على متابعة عمله ، دعونا من هذه مؤقتاً ، هذه الدابة لو قطعنا رأسها لعطلنا الأمر الثاني ، أمر الغدة النخامية ، فصار النبض ثمانين نبضة ، الثمانون نبضة يُخرجون ربع الدم من جسم الخروف ، يصبح لونه أزرقاً ، إذا بقي الخروف رأسه مربوطاً بجسمه يعمل الأمر الثاني للغدة النخامية ، يخرج دمه كله ، تجد الذبح الإسلامي لون اللحم زهري ، لأن الدم كله خرج ، أنا لي صديق ذهب إلى الصين لشراء لحم إلى سوريا ، فلما طالبهم بهذه الطريقة رفعوا السعر ، قالوا : هناك ثمانية لتر من الدم يخرجون من البقرة نريد ثمنهم ، بهذه الطريقة ثمانية لتر من

الدم يذهبون من البقرة ، فلما النبي عليه الصلاة والسلام أمر أن يبقى الرأس موصولاً هذا ليس من ثقافته ، الآن كشف ذلك ، هذا من وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس